مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: أقدس مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم – دراسة في النصوص المقدسة (الجزء الأول: الواضع الأول لكل منها، والقبلة والحج إليها)
اسم الكاتب: د. ريمه الصياد
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/1827
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 04:25 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

أقدس مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم– دراسة في النصوص المقدسة (الجزء الأول: الواضع الأول لكل منها، والقبلة والحج إليها)

د. ريمه الصياد*

المـلخــص

اهتم البحث بتوضيح شأن أعظم ثلاثة مساجد بناها الأنبياء صلوات الله عليهم، وهذه المساجد هي (المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي الشريف). وتعود أهميتها لعلو ثواب الصلاة فيها مقارنة بغيرها من المساجد، وأنه لا تُشدُّ الرحال ب قصد العبادة وإقامة الصلاة إلا إليها. وكان هدف البحث الوصول إلى معلومات أكثر في بيان خصوصية هذه المساجد، وارتباط الأنبياء بها على مر التاريخ. وكان منهجه الاعتماد على مصادر الإسلام، وكذا كتب اليهود والنصارى المقدسة للوصول إلى صورة كاملة المعالم، **أمكن الوصول إليها بإتباع المنهج التاريخي المقارن.**

ووصل البحث إلى نتائج هامة يُعنى بها أتباع الرسالات السماوية جميعاً؛ وما يرتبط بهذا الجزء منها: أن مواضع المساجد الثلاثة على الأرض هي اختيار إلهي لا بشري. وأن الله تعالى بارك المسجد الحرام، وجعله القبلة الأولى، ثم الأخيرة للناس، وإليه حجهم. وأنه تعالى بارك المسجد الأقصى، وجعله القبلة الثانية، وكان مزاراً للأنبياء جميعهم. وقد بنى المسجدين (الحرام والأقصى) أبو الأنبياء آدم عليه السلام، وبنى المسجد النبوي خاتمهم محمد ﷺ. فالناس جميعاً أو أتباع الأنبياء اليوم – يهوداً ونصارى ومسلمين – متى وجِدوا، يشتركون في تقديس ما قدسه الأنبياء، وإقامة الشعائر التي أتوا بها، ولكن بصورتها التي ختمت بها مع خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

الكلمات المفتاحية: مسجد، نبي، قرآن، توراة، مقدس.

* قسم العقائد والأديان – كلية الشريعة – جامعة دمشق.

The Holiest Mosques of the Prophets Peace be upon them-Study in the sacred text Part One (The first setter for each of them, the qiblah, and the pilgrimage to it)

Dr. Rema Alsayyad*

Abstract

This research has focused on studying the status of the most important three mosques which were built by the Prophets, peace be upon them, and these mosques are: (Al-Masjid Al-Haram, Al-Aqsa Mosque, and the Noble Prophet's Mosque**).**

The importance of these three mosques is due to the high reward for praying in them compared to other mosques, and that Mounts are not saddled for praying except of these three.

The aim of this research is to gain access to more information about the privacy statements of these mosques.

The approach employed is to rely on the sources of Islam, with reliance on the holy books of the Jews and the Christians to reach a full picture.

The research has produced important outcomes that all people need to understand in relation to all the heavenly messages. Of which: The three mosques on Earth are a divine, not a human choice. God Almighty blessed Al Haram Mosque and made it the first and the final destination for people, and make the pilgrimage related to it. Almighty God blessed Al-Aqsa Mosque and made it the second qiblah, and it was a shrine for all the Prophets peace be upon them. The mosques (Al - Haram and Al - Aqsa) were built by the father of the prophets Adam peace be upon him, and the prophetic mosque was built by prophet Muhammad peace be upon him.

The research has resulted that all the followers of the prophets share in the necessity to sanctify what the prophets sanctified, and to conduct the rituals that they ordered, which go smoothly with the rituals of the final prophet Muhammad peace be upon him.

Kay woads: Mosque, Prophet, Quran, Torah, sacred.

* **Department of Beliefs and Religions - College of Shariah - Damascus University.**

المقدمـــــــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن لبَّى نداه. وبعد:

رفع الله ﷻ مكانة الأنبياء على سائر الخلق لما اتصفوا به من علو أخلاقهم وصلاح سيرهم، فاصطفاهم وحمَّلهم رسالته إلى العالمين [١]، واختصهم بفضائل أخرى، كبناء بيوت الله ومساجده، لإعلاء كلمته، والصدح بعبادته. كما رفع الله ﷻ من قدر تلك المساجد بأن ربط بعضها بأحداث جليلة، أو أشاد بذكرها في كتابه[٢].

وقد تميزت ثلاثة مساجد منها بأن أصبحت مقصداً ومزاراً للمؤمنين، فيقول رسول اللهﷺ، فيما رواه أبو هريرة ﷺ: {لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى}[٣].

فيشير الحديث الشريف إلى المكانة المباركة التي تحظى بها هذه المساجد الثلاث دون غيرها من مساجد الله وبيوته، بحيث لا تشد الرحال بهدف إقامة الصلاة والعبادة إلا لهذه المساجد؛ لما يترتب على الصلاة فيها من الثواب الجزيل [٤]، وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ في مواضع أخرى، منها قوله ﷺ في الصحيح[٥]، عن أبي هريرة ﷺ

---

[١] بالطبع لكانت رسالة كل نبي إلى قومه خاصة، واختص محمد ﷺ برسالته إلى الناس كافة، لختم الرسالات بها.

[٢] كحادثة الإسراء والمعراج [الإسراء: ١]. والحج لبيت الله الحرام [آل عمران: ٩٧].

[٣] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في أبواب تقصير الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٢١). كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (٢٤٨٣). (جمعية قطر الخيرية، **جامع الحديث الشريف، للكتب التسعة**، تطبيق على جهاز الموبايل).

[٤] قال ابن حجر العسقلاني: «ترجم البخاري رحمه الله بفصل الصلاة، وليس في الحديث ذكر الصلاة، ليبين أن المراد بالرحلة إلى المساجد قصد الصلاة فيها، لأن لفظ المساجد مشعر بالصلاة» **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج٣، طبعة فريدة بفهرس أبجدي بأسماء كتب صحيح البخاري، رّقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ص٦٣.

[٥] وردت أحاديث كثيرة في ذلك، اكتفيت بذكر أصحها.

عن النبي ﷺ قال: {صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام}[1]. ثم ما ورد عن أبي ذر ﷺ قال: {تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ : {صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّى، وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى فيه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً– أو قال: خير من الدنيا وما فيها}[2]. وفي هذا بيان كافٍ في فضل الصلاة في هذه المساجد على غيرها.

وإذا بحثنا عن أسباب أخرى لتقديس هذه المساجد، فنجد الحافظ ابن حجر العسقلاني يشير إلى بعض هذه الأسباب بقوله في شرح حديث شد الرحال: (في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني قبلة الأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى)[3].

هدف البحث:

التقديم السابق في مجمله يشير إلى تميز المساجد (الحرام، والأقصى، والنبوي الشريف) على غيرها من مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم، فكانت الرغبة في جمع أسباب هذا التفضيل؛ وذلك من خلال البحث الدقيق في بناة هذه المساجد من الأنبياء، وفي أي الأزمان كان ذلك، وفي صفة الأرض التي بُني عليها كلٌ منها، وهل تم اختيار مواضعها بأمر الله عز وجل، وهذا مما يزيدها أهمية، أم وكِل ذلك إلى الأنبياء؟ وإلى أيٍ

---

[1] الحديث أخرجه البخاري، في أبواب تقصير الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٢٢).

[2] الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج٧، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، (رقم ٦٩٨٣)، (ص١٠٣). والحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، مع تعليقات الذهبي، ج٤، ط١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩٠م، كتاب الفتن والملاحم، (رقم٨٥٥٣)، (ص٥٥٤)، [وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.]

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٦٥/٣).

منها اتجه الناس في صلواتهم، فكان قبلتهم، وهل اختلف الأمر عبر التاريخ كما ذكر ابن حجر؟ وماذا عن وجهة الحج للأمم السابقة؟ وكلها أسباب للتفضيل والتقديس[١].

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من إدراكِ أن بعض الأسئلة السابقة تأتي إجابتها واضحة يقينية في حق بعض المساجد المذكورة، بينما لا تزال غائبة أو ضعيفة أو مترددة بين عدة أقوال في حقها الآخر، فتأتي هذه الدراسة الجامعة بغية الوصول إلى إجابات أكثر قوة بالاستناد إلى المقارنة بين أحوال المساجد الثلاث، وما هيأه الله لها.

والذي ساعد على إنجاز هذا العمل، بفضل الله، الاطلاع السابق على الكتب المقدسة لليهود والنصارى– علاوة على كتبنا المقدسة– ففيها معلومات تؤيد أو تكمل ما جاء عندنا، وهو الأمر الذي ألهمني بهذه الدراسة.

منهج البحث:

سيعتمد البحث المنهج الوصفي التاريخي، فيتتبع مختلف الروايات المقدسة المرتبطة بهذه المساجد، عبر المراحل التاريخية المتتالية، رغم وجود الانقطاع والفجوات فيها. وللوصول إلى صورة أقرب إلى الكمال والوضوح **ستكون المقارنةُ** – بين القرآن الكريم ومصادر الإسلام الأخرى من جهة، وبين التوراة أو العهد القديم [٢]، وكذا العهد الجديد – **أساساً** في هذا البحث. مع مراعاة أن المقارنة لن تكون لكل النقاط المدروسة كاملة، بل بحسب ما جاء فعلاً بالكتب المقدسة، وما يخدم الفكر المدروسة.

---

[١] خُصص جزء آخر لتجلية أسباب أخرى للتفضيل، وذلك من خلال البحث عن علاقة بقية الأنبياء بهذه المساجد بعد وضعها، وبتعبير آخر: بيان من أسهم منهم في تجديد هذه المساجد عبر التاريخ، ودلالات ذلك.

[٢] تطلق التوراة ويُراد بها الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد ، التثنية). فإذا أُضيف إليها الأقسام الأخرى (أسفار الأنبياء، والكتابات) فهي العهد القديم عند المسيحيين، بينما هي التناخ أو التناك في العبرية. ثم صارت التوراة في التقليد اليهودي تشمل الناموس المكتوب والتفسيرات له. وسيعتمد البحث هذه التسمية اليهودية. (انظر: عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية**، ج٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٨٤).

ومع بيان أن المنهج في التعامل مع التوراة هو إبراز ما جاء فيها موافقاً لما أثبته القرآن الكريم، أو جاء مكملاً له، مع تجاهل تعدد رواياتها وتناقضها والتي لا يخرج المتتبع لها عادة بفكرة سليمة ثابتة.

فإذا كانت التوراة تحمل الغثَّ بسبب عبث الأيدي الكثيرة بهذا الموروث الديني[١]؛ فإنها تحمل إلى جانبه فكراً كامناً من الحق يحتاج فقط لبيان وجلاء، وقد أضعف ظهوره الباطلُ الذي يحيط به[٢].

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة اعتنت بمسألة البحث بالوصف السابق، وإن جاء الحديث عن مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم في ثنايا الكتب المختلفة. **فالبحث يغير نظرتنا لعلاقة بعض الأنبياء بهذه المساجد**، كما سيأتي تفصيلا.

خطة البحث:

يُعنى البحث بالإجابة عن نقطتين هامتين في جزئه هذا، تُظهر **أولاها** الباني الأول لكلٍ مسجد من المساجد المذكورة (الحرام، والأقصى، والنبوي الشريف)، مع بيان مواضعها المباركة على الأرض، والمعيّن لتلك المواضع وهو الله عز وجل كما سيظهر. وتهتم **أخرى** ببيان المساجد التي كانت قبلة للناس يتوجهون إليها في عبادتهم، أو حجهم، أو كانت مزاراً لأنبيائهم.

وبناء عليه فتأتي قسمة الجزء الأول عن أقدس المساجد المقدسة، وهو حول: **(الواضع الأول لكل منها، والقبلة والحج إليها)**، وبعد المقدمة، كالآتي:

---

[١] انظر على سبيل المثال: ريتشارد أليوت فريدمان، **من كَتَبَ التوراة**، ترجمة عمرو زكريا، دار البيان، القاهرة. والذي يُثبت تعدد مصادر التوراة الحالية.

[٢] هذا ما سيحاول البحث إثباته. ويذهب العديد من العلماء إلى بقاء الكثير من الصواب في التوراة الحالية، انظر: محمد خليفة حسن، **علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢٣ ، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص (١٦ ، ٢١ ، ٧٤ – ٨١). وانظر: حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**، ج١، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص١٢.

المبحث الأول بعنوان: **الواضع الأول لأقدس مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم** .

وانقسم إلى:

المطلب الأول: الواضع الأول للمسجد الحرام.

المطلب الثاني: الواضع الأول للمسجد الأقصى.

المطلب الثالث: الواضع الأول للمسجد النبوي.

المبحث الثاني بعنوان: **القبلة والحج إلى مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم:** وفيه:

المطلب الأول: القبلة مع نبوة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: الحج إلى بيت الله الحرام لكل أتباع الأنبياء صلوات الله عليهم.

المطلب الثالث: القبلة قبل نبوة محمد ﷺ.

وأخيرا **الخاتمـــة** وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

وختم البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

الواضع الأول لأقدس مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم

يهتم هذا المبحث بالحديث عن البناء الأول لأقدس المساجد على الأرض (المسجد الحرام، والأقصى، والنبوي الشريف)، ويحدد شخصية النبي الباني، وزمن البناء، وموضع المسجد على الأرض، والذي كان باختيار الله عز وجل وأمره كما سيظهر.

المطلب الأول: الواضع الأول للمسجد الحرام:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ – ٩٧]. فتثبت الآيات الكريمات أن أول بيت من بيوت الله في الأرض وضع لإقامة الصلاة والعبادة فيه هو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة[1].

وأما عن الواضع له:

فبالرغم من أن آيات الذكر الحكيم لم تربط بين ذكر نبيٍ من الأنبياء قبل إبراهيم عليه السلام وهذا البيت، إلا أن اتفاق المفسرين على أن الأسس الأولى للمسجد الحرام وضعت قبل إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

[1] انظر ما ذكره الطبري من اختلاف أهل التأويل في معنى الأولية؛ بمعنى هل هو أول بيت على الإطلاق؟ أم هو أول بيت وضع للعبادة؟ وقد رجح القول الثاني (تفسير الطبري **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٧ ، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص١٩ –٢٢).

وقال ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٤٠٨): (وقد ورد ذلك صريحاً عن علي، أخرجه إسحق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح، قال: كانت البيوت قبلة ، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله). وانظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ص٢٠٦.

فيظهر أن الله ﷻ شرّف إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام برفع قواعدَ بيتٍ قد وضِع قبل ذلك الزمن، كما ذهب أهل التفسير[١].

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، في حديث طويل، قال فيه: {أولَ ما اتخذَ النساءُ المِنْطَقَ من قِبَلِ أمِّ إسماعيلَ اتخذت مِنْطَقاً لَتُعَفّي أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيمُ وبابنها إسماعيلَ وهي ترضعُهُ حتى وضعهما عند البيت عند دوحةٍ فوقَ زمزمَ في أعلى المسجدِ وليس بمكة يومئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسِقاءً فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقاً فتبعتهُ أمُ إسماعيلَ، فقالت: يا إبراهيم أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا، قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيعنا، ثم رجعت. فانطلق إبراهيمُ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونهُ استقبل بوجهه البيتَ، ثم دَعَا بهؤلاء الكلماتِ، ورفع يديه، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[سورة إبراهيم: ٣٧]...} الحديث[٢].

فيتضح من سياق الحديث أن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام كان منذ المرة الأولى التي أحضر بها زوجته هاجر وابنهما الرضيع إسماعيل للسكن عند البيت الحرام [٣]، وقد دعا إبراهيم بكلماته مستقبلاً بوجهه البيت، وقد ذكره صريحاً، عند بيتك المحرم، وقد كان البيت خالياً من الناس والثمرات.

---

[١] تفسير الطبري (٣ / ٥٧ – ٦٤) ، تفسير القرطبي (٣٨٦/٢) وغيرهما.

[٢] كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ حديث رقم (٣١٣٦).

[٣] في توجيه الآية قول آخر يرى أن الدعاء لعله صدر من إبراهيم عليه السلام بعد رفعه لقواعد البيت مع إسماعيل عليهما السلام. (انظر مثلاً: لمحمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تطبيق على جهاز الموبايل، تفسير الآية ٣٧ من سورة إبراهيم).

مما يؤكد أن البيت الحرام كان قبل إبراهيم عليه السلام، وأنه لم يرفع بناءه حتى كبر إسماعيل عليه السلام، وشاركه في ذلك التجديد والبناء[1].

فمن هو الواضع الأول لقواعد البيت، وباني الكعبة قبل إبراهيم عليه السلام ؟

اختلف المفسرون ، فقيل: إنه آدم عليه السلام، وقيل: إن الملائكة أنزلتها على قياس الكعبة التي في السماء السابعة في عهد آدم[2].

ويجمع بين القولين ما رجحه ابن حجر في نقله عن البيهقي؛ أنه روى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: (بعث الله جبريل إلى آدم، فأمره ببناء البيت، فبناه آدم، ثم أمره بالطواف فيه، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس) [3]. وهو يناسب كون آدم عليه السلام أولَ الأنبياء وأبا البشر، وأن الكعبة أول بيت وضع للناس للعبادة والصلاة، ومعلوم يقيناً أن أنبياء الله كلهم عبدوا الله وصلّوا إليه، فناسَبَ وضع البيت الأول من قبل النبي الأول لأهل الأرض فيها، يتوجهون إليه بالعبادة، ولمن جاء بعدهم، حتى بناء المسجد الأقصى بعد ذلك. ويظهر بجلاء أن جبريل عليه السلام حدد الموضع لآدم عليه السلام بأمر الله تعالى.

---

[1] وهذا ما ورد بنفس الحديث السابق في آخره: { .. ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً.. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني..}.

[2] انظر: تفسير الطبري: (٣ / ٥٧ – ٦٤). والقرطبي (٢/ ٣٨٦) . وفتح الباري (٦ / ٤٠٦).

[3] فتح الباري، (٦ / ٤٠٨ – ٤٠٩)، وقد نقل أقوالاً كثيرة رجح منها هذا القول عن البيهقي في **دلائل النبوة** . وجاء نصه في **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٤٥: (عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال النبي ﷺ: {بعث الله جبريل عليه السلام إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابنيا لي بناء، فخط لهما جبريل عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء، نودي من تحته: حسبك يا آدم. فلما بنياه أوحى الله تعالى إليه: أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت. ثم تناسخت القرون حتى **حجّه نوح**، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه}. تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً).

المطلب الثاني: الواضع الأول للمسجد الأقصى[١]:

نُسب بناءُ المسجد الأقصى للعديد من الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم ويعقوب، وداود وسليمان عليهم السلام، ولكننا سنرجح هوية الباني له استناداً إلى الدليل الأقوى الذي يحدد زمن بنائه، ثم نُظهر قيمة الأقوال الأخرى في معرفة المجددين للوضع الأول.

فقد جاء في الصحيح من حديث أبي ذرٍ ﷺ {قال: قلت: يا رسول الله، أيُ مسجدٍ وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أيّ، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما، قال: أربعون سنة. ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فصلِّهِ فإنَّ الفضل فيه}[٢].

وقد ترجح لدينا في المبحث السابق أن الواضع الأول للكعبة المشرفة هو آدم عليه السلام بتوجيه جبريل عليه السلام، وإذا كان بين المسجدين أربعون سنة بدلالة هذا الحديث الصحيح، فيكون الباني للمسجد الأقصى هو آدم عليه السلام كذلك، وقد بُني بأمر الله ﷻ في موضعه الذي بني فيه.

وممن رجح هذا القول ابن حجر، إذ قال: (إذ يعود بناؤه إلى عهد آدم عليه السلام في الراجح من الأقوال المأثورة)[٣]. ونقلَ عن ابن هشام في التيجان: (إن آدم لما بنى البيت أمره جبريل عليه الصلاة والسلام بالمسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه)[٤]. وهنا أيضاً جبريل عليه السلام هو المرشد لآدم عليه السلام إلى بيت المقدس.

---

[١] سُمي الأقصى لبعده عن المسجد الحرام في المسافة، وقيل: لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبث، وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة، لأنه بعيد من مكة وبيت المقدس أبعد منه. (فتح الباري: ٦٤/٣).

[٢] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ حديث رقم (٣١٣٨). وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، حديث رقم (٨١٣).

[٣] فتح الباري: (٦ / ٤٠٧).

[٤] فتح الباري: (٦ /٤٠٩)، وهو خبر غير مسند، إلا أنه يقوى بحديث أبي ذر الصحيح المذكور أعلاه . وانظر: ابن هشام رواية.. عن وهب ابن منبه، **كتاب التيجان في ملوك حمير** ، ط١، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ، ص٢٢.

وقد فرّق الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) بين من بنى المسجدين الحرام والأقصى وبين من وضعهما، و هو وإن لم يحدد الواضع بأنه آدم عليه السلام أو غيره، ولكنه رجح أسبقية زمن البناء عن زمن داود وسليمان عليهما السلام، وبالتالي يظهر تأييد الأقوال السابقة؛ فكان مما قاله في الرد على الإشكال:

(.. ولم يكن سؤال أبي ذرٍ رسولَ الله ﷺ عن مدة ما بين بنائهما، إنما سأله عن مدة ما كان بين وضعهما، فأجابه بما أجابه به. وقد يحتمل أن يكون واضع المسجد الأقصى كان بعض أنبياء الله قبل داود عليه السلام، وقبل سليمان عليه السلام، ثم بناه داود وسليمان في الوقت الذي بنياه فيه. فلم يكن في هذا الحديث بحمد الله ما يجب استحالته) [1]. وبنحوه أجاب القرطبي في تفسيره[2]، وابن كثير في البداية والنهاية[3].

المطلب الثالث: الواضع الأول للمسجد النبوي:

لا يختلف اثنان بأن رسولنا الكريم محمد ﷺ هو من بنى مسجده أو المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة بمعاونة صحابته رضوان الله عليهم، وذلك بعد وصوله المدينة بأيام.

وأن موضع المسجد النبوي في المدينة تحدد بأمر الله تعالى، كما هو حال المسجدين السابقين؛ إذ دخل الرسول ﷺ المدينة على راحلته فالتفَ حوله الأنصار، كلٌ يمسك زمام راحلته يرجو نزول الرسول عنده، فكان الرسول ﷺ يقول لهم: **{دعوها**

---

[1] الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، ط١، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ج١، ص ١١٠.

[2] تفسير القرطبي: (٥ / ٢٠١).

[3] ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ج٢، ص ٣٤١.

فإنها مأمورة، فلم تزل تسير حتى وصلت إلى مربد[١] لغلامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري **فتوقفت**، وقال النبي ﷺ: {ههنا المنزل إن شاء الله}[٢].

ثم بنى الرسول ﷺ مسجده في هذا الموضع بعد أن اشترى الأرض من أصحابها[٣]. فكان سكناه ومسجده متجاورين.

إشكال وردّه:

لا يختلف اثنان بأن الرسول ﷺ قبل أن يصل المدينة، وصل إلى قُباء [٤] من عوالي المدينة، وبقي فيها حوالي أربع عشرة يوماً في حي بني عمرو بن عوف [٥]، وأنه أسس لهم مسجداً في الموضع الذي كانوا يصلون فيه [٦]، وهو ما صار يُعرف بمسجد قباء.

فمسجد قُباء وإن كان رسول الله ﷺ قد أسسه إلا أنه لا يُنسب إليه عند الإطلاق، فهو مسجد قباء، أو مسجد بني عمرو بن عوف [٧]، بخلاف المسجد النبوي الشريف.

ويؤيد هذا القول ما كان من نقاش العلماء فيما يأتي:

فعندما قام بعض المنافقين في المدينة ببناء مسجد قرب مسجد قباء ليضروا بالمسلمين ويكيدوا لهم ويفرقوا وحدتهم. وجا ؤوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يصلي فيه

---

[١] أرض يجفف فيها التمر.

[٢] انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة**، ط٨، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (ص ١٨١ – ١٨٢).

[٣] البوطي، فقه السيرة ،(ص ١٩٣).

[٤] قُباء: بضم القاف ثم موحدة ممدودة عن أكثر أهل اللغة، وهو موضع على ميلين أو ثلاثة أميال من المدينة، وسمي باسم بئر هناك (فتح الباري، ابن حجر، ٣ / ٦٨ – ٦٩).

[٥] ابن حجر، **فتح الباري**، (٧ / ٢٦٥).

[٦] ابن حجر، **فتح الباري**، (٣ / ٦٨ – ٦٩). البوطي، **فقه السيرة** ، (ص ١٨١).

[٧] ابن حجر، **فتح الباري**، (٣ / ٦٩). البوطي، **فقه السيرة** ، (ص ١٨١).

تشريفاً له وليرتضيه الصحابة بعد ذلك. فأطلع الله ﷻ رسوله على غايتهم، وأمره بهدمه، ولم يصلِ فيه، وأنزلَ تعالى قرآناً يُتلى في الحادثة، وقد ذكرتها باختصار[١].

وقد جاء الأمر لرسول الله ﷺ بحسب الآيات أن يقيم الصلاة – وقيل أنه كان وقت صلاة مفروضة– بالمسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم. فاختلف أهل التأويل في المراد بهذا المسجد! هل هو مسجد قباء أم مسجد النبي ﷺ؟ فذهبت أقوالٌ إلى أنه مسجد قباء؛ لأنه الأول زمناً بالنسبة للمسجد النبوي، وكلاهما أسس على التقوى من أول يوم بني فيه. وذهبت أقوالٌ أخرى إلى أنه المسجد النبوي[٢].

وأقوى ما ذكر في المسألة حديث صحيح رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: {تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هو مسجدي هذا}[٣].

ولهذا قال الطبري: (وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو مسجد رسول الله ﷺ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله)[٤].

وقال القرطبي بعد أن نقل رواية تذكر أنه مسجد قباء: لأن الرجال الذين يحبون أن يتطهروا – في الآية – أريد بهم الأنصار من أهل قباء.. إلا أنـه قال بعد ذلك: (وهذا

---

[١] قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾..[الآيات من سورة التوبة: ١٠٧ – ١٠٨] وانظر: تفسير الطبري، (١٤ / ٤٦٨ – ٤٧٩). وتفسير القرطبي، (١٠ / ٣٦٩ – ٣٨٠).

[٢] انظر: تفسير الطبري، (١٤/ ٤٧٦ –٤٧٩). وتفسير القرطبي، (١٠/ ٣٧٧ –٣٨٠).

[٣] جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٤٣). وأخرج الحديث كذلك النسائي في **السنن الصغرى**، كتاب المساجد، باب ذكر المسجد الذي أسس على التقوى، حديث رقم (٦٩٠). وأخرجه أحمد في **المسند**، باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، حديث رقم (١٠٨٣٥). (جمعية قطر الخيرية، **جامع الحديث الشريف، للكتب التسعة**، تطبيق على جهاز الموبايل).

[٤] تفسير الطبري، (١٤ / ٤٧٩) .

الحديث يقتضي أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء، إلا أن حديث أبي سعيد الخدري نصَّ فيه النبي ﷺ على أنه مسجده، **فلا نظر معه)**[١].

وقد حاول ابن عاشور الجمع بين القولين السابقين فقال: (ووجه الجمع عندي أن يكون المراد بقوله تعالى:﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ المسجد الذي هذا صفته لا مسجداً واحداً معيناً، فيكون هذا الوصف كلياً انحصر في فردين؛ المسجد النبوي ومسجد قباء)[٢].

ويترجح عندي قول الطبري والقرطبي ومن ذهب مذهبهما لقوة استدلالهما، وليبقى في ذاكرة الأمة ارتباط نبيها بمسجده الذي بناه لصلاته ونسكه والذي كان قيام النبي فيه هو دأبه، وأنه الأول بالنسبة له ولأمته من بعده.

وليلتقي مسجد النبي ﷺ مع المسجد الحرام والمسجد الأقصى بعلو ثواب الصلاة فيه لمباركة الله لهذه المساجد؛ **إذ قدَّر مواضعها على الأرض بأمره** ، وباركها لخلقه، وأوكل وضعها لأنبيائه.

وليس هذا فقط، فقد كان من أمر المسجد الحرام والمسجد الأقصى أنهما قبلتا الله في أرضه، فاستمرت عناية الخالق بهما من بعد وضعهما عبر القرون المختلفة، وعَهِدَ بتجديدهما لخيرة خلقه.

وسنبحث في تجديد أقدس مساجد الأنبياء في ال جزء الثاني، أما المبحث القادم فسينظر في موضوع الحج والقبلة.

---

[١] تفسير القرطبي، (١٠ / ٣٧٩ – ٣٨٠).

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، تفسير آية [سورة التوبة: ١٠٨].

المبحث الثاني

القبلة والحج إلى مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم

في الحديث عن القبلة ربما يكون من الأولى أن نبدأ في الحديث عنها زمن النبيﷺ محمد ثم نعود بالزمن إلى الوراء، فنتحدث عن القبلة عند الأمم السابقة.

والسبب في ذلك يعود لمعرفتنا الجلية لما كان عليه رسولنا ﷺ مقارنة بمن سبقه من الأنبياء. وأمر آخر هو أن حاله ﷺ يرشدنا إلى حال من سبقه لإيماننا بأن سنن الله واحدة مع أنبيائه، كما سيتبين، وسيؤكده أمر الحج كذلك.

المطلب الأول: القبلة مع نبوة محمد ﷺ:

*القبلة قبل الهجرة النبوية:

بُعث رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، فصلى قريباً من الكعبة المشرفة في المواضع التي تمكنه من أن يتجه إلى بيت المقدس، فجمع بين القبلتين في صلاته تلك المدة. ويدل على ذلك قول ابن عباس ﷺ: (كان رسول الله يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرف إلى الكعبة)[1].

كما يدل عليه أن القبلة بعد الهجرة كانت أولاً لبيت المقدس، كما ثبت في هذه الرواية وغيرها كما سنذكر ويتبين السبب بالأحاديث الشريفة الآتية.

*القبلة بعد الهجرة النبوية إلى المدينة:

موقع المدينة المنورة على الأرض لا يسمح لرسول الله ﷺ بأن يجمع بين القبلتين كما كان في مكة المكرمة، فكان لا بدَّ من أن يستقبل إحدى القبلتين في صلاته، فَأُمر– أو اختار– أن يستقبل بيت المقدس أولاً– على قولين–، ودام ذلك ستة عشر أو سبعة

[1] أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، حديث رقم (٢٨٧٢). وجاء في الدر المنثور للسيوطي: (أخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود في "ناسخه"، والبيهقي في "سننه"، عن ابن عباس..) الحديث، (ج ٧/٢)، تفسير سورة البقرة، الآية ١٤٢.

عشر شهراً، كان يميل حينها ويحن لاستقبال بيت الله الحرام، فأُمر بتحويل القبلة إليه بعد تلك المدة، واستقر الأمر على ذلك فيما بعد.

وقد نزل في هذا الأمر قرآنٌ يتلى[١]، وأحاديث كثيرة، أذكر منها رواية واحدة عند البخاري: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: {كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ **يحب أن يُوجه إلى الكعبة**، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة ..} الحديث[٢].

وقال ابن العربي في أحكام القرآن ملخصاً الأسباب في أمر القبلة لبيت المقدس: (قال علماؤنا:.. اليهود عابوا على المسلمين رجوعهم إلى الكعبة عن بيت المقدس، وكان النبيﷺ يحب أولاً أن يتوجه إلى بيت المقدس، حتى إذا دانى اليهود في قبلتهم كان أقرب إلى إجابتهم، فإنه ﷺ كان حريصاً على تأليف الكلمة وجمع الناس على الدين، فقابلت اليهود هذه النعمة بالكفران، فأعلمهم الله تعالى أن الجهات كلها له، وأن المقصود وجهه وامتثال أمره، فحيثما أُمر بالتوجه إليه، تَوجه إليه، وصح ذلك فيه)[٣].

. استنباط الحِكَم المظهرة لسنن الله في مساجده المباركة:

وإذا أردنا أن نستلهم من فعل الرسول ﷺ توجيهات أخرى لا تقل فضلاً عمّا ذهب إليه علماؤنا، وتناسب مقاصد هذا البحث، فنرى– والله أعلم– أن الله ﷻ أراد أن يبقي في ذاكرة البشرية جمعاء– بفعل الرسول ﷺ – أقدس المواضع، ليقدسها الناس إلى قيام الساعة.

---

[١] انظر :الآيات من سورة البقرة (١٤٢– ١٤٤) ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ.. ﴾.

[٢] رواه البخاري، أبواب استقبال القبلة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، حديث رقم (٣٨٧).

[٣] ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج١، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص٦٠ – ٦١).

فكان جمعُ القبلتين في مكة أولاً ليجمع الرسول ﷺ في توجهه في الصلاة بين المقدسات جميعاً (المسجد الحرام، وموضع المسجد النبوي، والمسجد الأقصى) ، فهو حين اتجه نحو المسجد الأقصى من موضعه في المسجد الحرام جمع إليه موضع المسجد النبوي بينهما، وإن لم يكن قد بني بعد[١].

ويشير إلى ارتباط المواضع الثلاثة حديث ضعيف ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: {إن مكة بلد عظيم عظمه الله وعظم حرمته، وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض يومئذ كلها بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض بعد ألف عام خلقاً واحداً}[٢]. وقد ذكرته للاستئناس فقط.

ولا نستغرب الأمر إذا تنبهنا أن المساجد المذكورة كلها لم تكن في أحسن أحوالها ذلك الزمن؛ فالكعبة المكرمة كانت محاطة بأوثان الجاهلية، والمسجد النبوي لم يُبنَ بعد، والأقصى خلا من اليهود تماماً ذلك الزمن [٣]، وسيطر عليه المسيحيون، فبنوا كنيسة القيامة في جانب، وانطمست معالمه، حتى اهتدى إليه عمر ﷺ بالسؤال عندما جاء فاتحاً[٤].

---

[١] بالطبع المسجد النبوي الشريف لم ينفرد بكونه قبلة على مر الزمان، وليس مراد البحث –في هذه النقطة– إلا بيان فضله وبركته.

[٢] انظر: أبو المعالي بن إبراهيم المقدسي، **فضائل بيت المقدس**، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، (ص ٧). وذكر أن السيوطي ذكره في **الدر المنثور**، وعزاه إلى الواسطي في فضائل بيت المقدس، وأن الأخير قال حديث واه جداً، (قال: وقلت: في إسناده عبد الله ابن لهيعة، وقد تفرد به).

[٣] انقطعت صلة اليهود بالقدس بعد إخماد آخر ثوراتهم على يد الامبراطور هدريان، فهدم المدينة، ومنع اليهود من دخولها ثانية، وذلك ابتداءً من عام ١٣٥م، واستمر ذلك لمدة ألف عام حيث لم يسكنها يهودي واحد تلك المدة، كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت هذه المدة أكثر من خمسين يهودياً. انظر: حسن عياش، **المسجد الأقصى وقبة الصخرة**، (ص ٦٧). علا زياد يوسف، **القدس في أسفار التوراة**، (ص ٢٣١).

[٤] انظر: حسن عياش، **المسجد الأقصى وقبة الصخرة**، (ص ٧٠) وما بعدها.

لكن لم يمنع ذلك كله من تقديس تلك الأمكنة بأمر إلهي لا بشري، وتسمية المسجدين (الحرام، والأقصى) بالمساجد، والتي جاءت في القرآن الكريم [١] في حق تلك الأمكنة في ذلك الزمن بالصورة التي عرفنا، وقبل أن تعود مساجد بالفعل مع الفتوح والهجرة.

وأمرٌ أخير يدل على فضيلة الأقصى، وتعظيم الأنبياء كلهم له، ما ورد في حديث الإسراء في بعض الروايات من إشارة إلى زيارة الأنبياء للأقصى، ولعلها بطرق مشابهة لزيارة الرسول الكريم محمد ﷺ له.

فقد ورد في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: {أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته **بالحلقة التي يربط به الأنبياء..**} إلخ[٢].

فأنبياء الله ﷻ زاروا بيت المقدس إما زيارة جسدية روحية على البراق، في حياتهم، ولم يسافروا إليه مع أقوامهم، ولم نعلم من تلك الزيارات إلا زيارة رسولنا محمد ﷺ، وإما سكنوا حوله وقدسوه مع أقوامهم كما هو حال إبراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ومن سبقهم مما لم نعلم، ثم ما كان من ي شوع وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام[٣]، وسيكون لهذا دور في بيان حال القبلة في تلك الأزمنة.

المطلب الثاني: الحج إلى بيت الله الحرام لكل أتباع الأنبياء صلوات الله عليهم:

[١] وذلك في الآية الأولى من سورة الإسراء، وهي قبل الهجرة النبوية، والفتوح بعدها.

[٢] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٣٨). المسند، الإمام أحمد بن حنبل، مسمد أنس بن مالك، حديث رقم (١٢٢٦٧).

[٣] وهو ما تثبته الكتب المقدسة ، ويأتي تفصيلا في الجزء الثاني بأدلته. وكذا غيرهم من الأنبياء ممن لم نذكر في بحثنا.. ك زكريا ويحيى.. وغيرهم مما لا نعلم.. عليهم السلام جميعاً.

قبل أن ننتقل إلى الحديث عن القبلة قبل نبوة محمد ﷺ، وبعد أن بينا فضيلة الأقصى بزيارة الأنبياء خاصةً، نشير هنا إلى فضيلة بيت الله الحرام وزيارة الأنبياء له بالحج إليه، وكذا حج الأمم على تنوعها كما تشير الروايات المختلفة.

فحرمة مكة كانت منذ خلق الله السماوات والأرض، وقد ورد عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح، فقال: {إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة..}[١]، وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: {إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي..}[٢] الحديث.

وقد سبق أن رجّحنا بناء آدم عليه السلام للكعبة في المبحث الأول، وأنه طاف بالبيت، وحجّه نوح عليه السلام، ثم إبراهيم عليه السلام حيث رفع قواعده[٣].

وتدل شواهد أخرى على حج هود وصالح عليهما السلام إلى بيت الله الحرام [٤]، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج، قال: {يا أبا بكر، أي وادٍ هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مرّ به هود وصالح على بكرات حُمرٍ، خُطُمُها الليف، أُزُرُهُم العباء، وأرديتهم النِّمارُ، يُلَبون يَحجوُنَ البيت العتيق}[٥].

---

[١] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ زمن الفتح، حديث رقم (٣٩٩٦). ورواية أخرى في المسند، أحمد بن حنبل، مسند المدنيين، حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه رقم (١٦٠٣٢).

[٢] صحيح البخاري، أبواب المحصر وجزاء الصيد، باب لا ينفر صيد الحرم، حديث رقم (١٧١١).

[٣] انظر في البحث ص ١٠، هامش (٣).

[٤] انظر : سامي عبد الله المغلوث، **أطلس تاريخ الأنبياء والرسل**، (ص ٣٥ – ٣٦).

[٥] أحمد بن حنبل، **المسند**، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنه، حديث رقم (١٩٩١). وانظر: سامي المغلوث، **أطلس تاريخ الأنبياء والرسل**، (ص ٣٧).

وجاء في فتح الباري: (روى ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (لما كان زمن الطوفان رُفع البيت، وكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه، حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه)[١].

وفي الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام ومضيفه شعيب عليه السلام، فقد جعلا تحديد مدة الإجارة بالحج ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ والحجج: اسم جمع حجة، وهي السنة، مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية[٢].

وقد أردت من عرض هذا الاستدلال الواسع لفرض الحج على الأمم جميعها، والحوار الدائر بين موسى ومضيفه عليهما السلام في القرآن الكريم؛ بيانَ وضوح فرض الحج في أمة محمد ﷺ ولكل من سبقهم من الأمم.

بينما لا نجد في التوراة أي إشارة إلى هذا الأمر، ولم تمر عبارة واحدة على لسان أي نبي تشير إلى مكانة بيت الله الحرام، أو فرض الحج، وهذا يعدُّ كتماً للحق في التوراة المحرفة[٣].

وبالمقابل نُقل عن كثير من أتباع الديانات المحرفة الأخرى تقديس البيت الحرام كالهنود الذين يزعمون أن روح "سيفا" قد حلت في الحجر الأسود حين زار بلاد الحجاز

---

[١] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، (٦ / ٤٠٣). وانظر: [سورة الحج: ٢٦ – ٢٧] ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾.

[٢] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، القصص، (آية ٢٦).

[٣] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

مع زوجته، والصابئة عدَّت الكعبة أحد البيوت السبعة المعظمة، والفرس قصدوا البيت تعظيماً وإجلالاً..إلخ[١].

كما عُرِف عن القبائل العربية باختلافها تقديس البيت كذلك، (وبسبب من عظمة الكعبة وقدسيتها فقد وجَدَ فيها الأحباش منافساً قوياً لما صنعوه في اليمن من بناء الكنيسة "القليس" فحاولوا مهاجمتها وتهديمها)[٢].

فالبيت الحرام يتجلى تقديسه من الناس كافة عبر العصور المختلفة باختصاصه بالحج والزيارة لكل من آمن بالله ﷻ، كما سبق وجلّينا تقديس الأقصى بزيارة الأنبياء إليه، والحث على ذلك لأقوامهم، كما فعل رسولنا الكريم محمد ﷺ. وكذا فقد توجه نبي الرحمة محمد ﷺ لكلا البيتين بصلاته، وتشرَّف باستقبالهما معاً، ثم إلى الأقصى مدة، ثم إلى بيت الله الحرام، وكان آخر أمره . فماذا عن قبلة الأنبياء قبله، وماذا وصل إلينا في هذا الشأن؟

المطلب الثالث: القبلة قبل نبوة محمد ﷺ:

تقدم أن رسول الله ﷺ وهو في المدينة المنورة استقبل بيت المقدس في صلاته ستة عشر أو سبعة عشر شهراً قبل أن يتحول إلى بيت الله الحرام. وذكر العلماء من أوجه تفسير هذا الفعل: أنه كان لائتلاف اليهود، علّهم يتبعونه إذا أظهر لهم تكريمه لما يكرموه، ووافقهم في قبلتهم. كما مر معنا. وهذا يرجح بقوة أن اليهود أو أكثرهم كانوا يتوجهون لبيت المقدس في صلاتهم، وسيحدد هذا المطلب بداية توجههم إليه.

. القبلة زمن داود وسليمان عليهما السلام:

تذكر التوراة أن داود عليه السلام اهتدى لموضع بيت المقدس بعد أن دلَّه الملاك إليه، وكان بيدراً، فاشتراه من صاحبه، وبدأ بتهيئته للبناء، ثم بناه سليمان عليه السلام[٣].

---

[١] انظر: حسن الباش، **القدس بين رؤيتين**، (ص ١٠٦ – ١٠٨).

[٢] انظر: حسن الباش، **القدس بين رؤيتين**، (ص ١٠٨). وقد نزلت سورة الفيل في هذه الحادثة.

[٣] انظر: أخبار الأيام الأول (٢١: ١٨ – ١٩). وسفر الملوك الأول (٥: ١–٥). وتفصيل ذلك في الجزء الثاني.

وتذكر التوراة أن سليمان عليه السلام بعد أن أنهى بناءه صلى فيه ودعا، وكان مما قاله: (لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع. واسمع **تضرع عبدك وشعبك إسرائيل** الذين يصلون في هذا الموضع.. وإذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك، ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا إليك **نحو** هذا البيت. فاستمع أنت من السماء واغفر.. **وكذلك الأجنبي الذي ليس من شعبك** إسرائيل هو، وجاء من أرض بعيدة من أجل اسمك، لأنهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك الممدودة، فمتى جاء **وصلى في هذا البيت** ، فاستمع أنت من السماء مكان سكناك، وافعل حسب كل ما يدعو به إليك الأجنبي، لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك، فيخافونك كشعبك إسرائيل، **ولكي يعلموا أنه قد دُعي اسمك على هذا البيت الذي بنيت**)[١].

فهذه عبارات ناصعة مضيئة تم استخلاصها من كتب اليهود المقدسة (التوراة) [٢] تثبت أن سليمان عليه السلام بنى البيت للصلاة والإنابة، وسوّى في ذلك بين اليهودي من بني إسرائيل والأجنبي من الأمم الأخرى، فالكل يصلي نحو هذا البيت، أو فيه، والكل يقدسه، ويأتيه زائراً.

ويؤكد هذه المعاني الحديث الصحيح الذي يرد فيه بناء سليمان عليه السلام للمسجد الأقصى، وفيه: {أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى **بيت المقدس** سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة:.. وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه}[٣].

---

[١] انظر: ملوك الأول: (٨: ٢٩ – ٤٣). وبلفظ مشابه، أخبار الأيام الثاني: (٦: ١٩–٣٣).

[٢] اصطلحنا على تسمية التوراة لكل العهد القديم في بداية البحث، وهذا اختيار اليهود.

[٣] سنن النسائي، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، حديث (رقم ٦٨٦). ورواه ابن ماجه (١٣٩٨). وأحمد في المسند (٦٤٦٧). ونقله ابن حجر عن ابن الجوزي ووصفه أنه من رواية النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد صحيح، ولم يطعن فيه (انظر: **فتح الباري**: (٤٠٨/٦).

وكذا جاء في التوارة: (وإذا خرج شعبك لمحاربة عدوه في الطريق الذي ترسلهم فيه، وصلَّوا إلى الرب **نحو** المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك، فاستمع من السماء صلاتهم وتضرعهم، واقضِ قضاءهم)[١].

وهذا يرجح أن القبلة زمن سليمان عليه السلام كانت إلى بيت المقدس [٢]، وهي كذلك لكل الشعوب: (إذا صار في الأرض جوع، إذا صار وباء..، أو إذا حاصرهم أعداؤهم في أرض مدنهم، في كل ضربة وكل مرض، فكل صلاة وكل تضرع تكون من أي إنسان كان، أو من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربته ووجعه، **فيبسط يديه نحو هذا البيت**، فاستمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر..)[٣].

ويبدو أن القبلة تجاه بيت المقدس تحددت بدقة منذ حكم داود عليه السلام حين أرشده ملاك الرب إلى موضع بيت الله هناك، واشتراه من صاحبه، وهيأ بناءه لسليمان عليه السلام. ويدل على ذلك خلاف نشأ بين السامرة وغيرهم من اليهود نقله أبو الفتح بن أبي الحسن السامري، إذ يرى السامرة أن القبلة هي نحو جبل جرزيم في نابلس لتكريم هوشع له برأيهم، وأن ذلك اقتداء بموسى عليه السلام، بينما (أخرج زوربيل مدرجاً، وادّعى أنه مدرج داود، وادّعى أنه يدل على أن داود قال: أن **الأندر الذي في إيليا هو القبلة**)[٤]. والسامرة يرفضون ما كان بعد موسى عليه السلام إذ لا تشريع بعده.. وهم مخطئون في ذلك فداود

---

[١] انظر :(ملوك أول ٨ : ٤٤ – ٤٥).وكذا ملوك أول: (٨: ٤٨ – ٤٩). وأخبار الأيام الثاني: (٦: ٣٤–٣٥، ٣٨–٣٩).

[٢] وأن هذه الصلوات أصبحت عماد العبادة عند اليهود، بعد بطلان التقدمات والقرابين بعد خراب الهيكل. انظر: علا زياد يوسف، **القدس في أسفار التوراة**، (ص ٩٣).

[٣] أخبار الأيام الثاني: (٦: ٢٨–٣٠). وانظر: ملوك الأول: (٨: ٣٧ – ٣٩).

[٤] أبو الفتح السامري، **التاريخ مما تقدم عن الآباء**، (نسخة مخطوط)، (ص ٦٥).

وسليمان عليهما السلام ومن جاء بعدهما أرسلوا في بني إسرائيل، وداود ﷺ صاحب كتاب سماوي، وهذا ما يظهره القرآن الكريم لفرقهم الضالة[١].

وأما تصوير أن موسى ﷺ دعا إلى قبلة أخرى غير بيت الله الحرام أو الأقصى فباطل، لما أثبته هذا البحث أنه لا مقدس من أرض الله إلا ما أظهره لكافة رسله عليهم السلام، والله أعلم.

. القبلة زمن موسى ﷺ:

موقف السامرة السابق الذكر يشير بأن اليهود قبل داود وسليمان عليهما السلام كانوا يتوجهون إلى نابلس على أنها قبلة موسى ﷺ. وإن كنا نعتقد خطأهم فيما ذهبوا إليه، لكن في ذلك إشارة إلى أنهم أخذوا الأمر عن موسى ﷺ، ولما كان موسى ﷺ لم يدخل الأرض فاتحاً لها في حياته [٢]؛ فقد أمر بالتوجه إلى الأقصى من موضعه خارج الأرض، فلا غرابة أن يخطئ بعض اليهود موضع القبلة عند دخولهم من بعده، كما حدث مع السامرة فتصوروا أن القبلة لنابلس لا للقدس، وهما قريبتان من بعضهما، ثم أصروا على ذلك، ولم يقبلوا ما كان من فعل داود ﷺ.

واتخاذ موسى ﷺ الأقصى قبلة له يبرره الأمر لقومه بفتح الأرض المقدسة، وتطهيرها من الدنس[٣]؛ فيكون اتخاذه للأقصى قبلة حينها، بأمر الله حتماً، تحفيزاً لقومه بالتوجه للأقصى بقلوبهم وصلواتهم تمهيداً للتوجه إليه بأجسادهم فاتحين بعد ذلك.

ولكن ماذا عن قبلة موسى ﷺ وقومه قبل ذلك؟

---

[١] من الشواهد القرآنية نذكر: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء ١٦٣] ، ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨] وغيرهما.

[٢] انظر: سورة المائدة: ٢٥. وسفر التثنية: (١: ٣٧). وتفصيل الاستدلال في الجزء الثاني.

[٣] انظر: سورة المائدة: ٢١. وسفر التثنية: (١: ٢٩ – ٣٠).

ورد في الأثر عن الصحابة رضوان الله عليهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٧] ما روي عن ابن عباس: كانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام، وعن الحسن: كانت الكعبة قبلة كل الأنبياء [١]، ويذكر ابن عاشور أن موسى عليه السلام أُمر بالتوجه إلى الكعبة وهي ملة إبراهيم عليه السلام قبل أن تُنسخ باستقبال صخرة القدس[٢].

ونقل الرازي في تفسيره الخلاف، فقال: (وقال آخرون: كانت تلك القبلة جهة بيت المقدس)[٣]، وذكر الألوسي أن الكعبة قبلة موسى، ثم ذكر وجود من يستغرب هذا القول[٤]، وينقل القرطبي القولين دون ترجيح [٥]، وقال محمد رشيد رضا في تفسير المنار: (واختلف المفسرون في الجهة التي أمروا باستقبالها والتوجه إليها في الصلاة، وهي لا تُعلم إلا بنص، ولا نص)[٦].

ولأن هذا البحث يُعنى بهذه المسألة فقط؛ وهي دراسة أحوال هذه المساجد المقدسة، وبحسب التوضيح السابق، فيمكن الجمع بين الأقوال باعتبار أن قبلة موسى عليه السلام كانت لبيت الله الحرام استمراراً لمن سبقه، ثم تحولت لبيت المقدس في زمنه مع الأمر بفتح بيت المقدس. ويزداد الأمر ترجيحاً إذا ذكرنا أن موسى عليه السلام هو الرسول الأعظم لمن جاء بعده في بني إسرائيل، ومعه جاء الأمر بدخول الأرض المقدسة، فكان

---

[١] تفسير الطبري، (١٧٦/١٥). والزمخشري، **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج٣، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، (ص١٦٦).

[٢] الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، تفسير سورة يونس (الآية ٨٧)، وقد نقل احتمالات كثيرة في تفسير الآية، فتنظر.

[٣] تفسير الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج١٧، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ /١٩٨١م، (ص١٥٣).

[٤] محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١٧١.

[٥] تفسير القرطبي، (٣٥/١١).

[٦] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م، ص٤٧١.

فعله بتحويل القبلة ممهداً لمن جاء بعده. ولو بدأ أمر القبلة مع داود وسليمان عليهما السلام لأنكر فعلهما أكثر اليهود. والله أعلم بالصواب.

. القبلة زمن إبراهيم عليه السلام:

ترجيحنا السابق بأن قبلة موسى عليه السلام كانت لبيت الله الحرام في بداية دعوته، تجعلنا نرجح أنها كذلك من زمن إبراهيم عليه السلام، ولعل هذا الأمر يتأكد بتذكرنا أن إبراهيم عليه السلام هو رافع قواعد بيت الله الحرام صاحب الدعوات: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧] وذلك بعد أن ترك هاجر وابنها، واستقبل البيت بوجهه[١]، ودعا الله أن يعمر بيته بالمؤمنين به.

ولعلّ إحياء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام في رحلته الأولى حيث ترك هاجر وإسماعيل الرضيع، أو بعد رفع قواعد البيت بعد أن كبر إسماعيل عليه السلام، لعل ذلك كان إيذاناً بتوجه الناس بالصلاة إليه ثانية[٢].

ولكن كيف كان الأمر قبل ذلك أي عندما نجّاه تعالى ولوط عليهما السلام إلى أرض بيت المقدس المباركة، والتي كانت عامرة بالإيمان [٣]. هل كان أهلها مأمورون بالتوجه لبيت الله الحرام؟ أما كانت القبلة بيت المقدس نفسه؟

لعل الأرجح في ذلك الزمن أن القبلة كانت لبيت المقدس، لاسيما أنه جاء في بعض الأقوال أن سام ابن نوح من البانين لهذا البيت في غابر الأزمان، فقد ذكر العيني

---

[١] ارجع (ص ٩) من البحث.

[٢] بعد بنائه الأول على يد آدم عليه السلام.

[٣] انظر: تفسير القرطبي للآية ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾، (١٤ / ٢٣٠)، وذكر محققه أنه قول اختاره الطبري ونقل قوله، وهو بكامله من تفسير الطبري: (لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قدم مكة، وبنى فيها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطناً لنفسه)، تفسير الطبري، (١٦ / ٣١٥)، طبعة هجر. وانظر: سفر التكوين: (١١: ٢٧ – ٣٢)، (١٢: ٦ –٧)، (١٣: ١٨). والتفصيل في الجزء الثاني.

أنه قد (رُوي عن كعب الأحبار: أن سليمان عليه السلام بنى بيت المقدس على أساس قديم كان أسسه سام بن نوح عليه السلام) [1].

فيكون ترتيب القبلة عبر الزمن كالآتي:

أنها كانت لبيت الله الحرام زمن آدم عليه السلام، ثم تحولت إلى بيت المقدس وأتاه إبراهيم عليه السلام وهي على ذلك، ثم عادت لبيت الله الحرام بفعل إبراهيم عليه السلام، ثم عادت لبيت المقدس مع موسى عليه السلام، ثم جمع الرسول الخاتم بين القبلتين ليجمع المحاسن كلها، ثم توجه لبيت المقدس من المدينة المنورة مدةً حفظت لهذا البيت قدسيته، ثم تحول إلى بيت الله الحرام، فدارت البشرية دورتها وعادت لما بدأت به مع آدم عليه السلام.

وهذا التصور لأمر القبلة قائم على مرجحات غير يقينية في بعض المواضع، إلا أنه يخرج برؤيا جامعة وغير متناقضة، وتتماشى مع سنن الله ﷻ، ووحدة الدين، والله أعلم بالصواب.

---

[1] العيني، **عمدة القاري، شرح صحيح البخاري**، ج١٥، ضبطه وصححه محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٦١)، وانظر: حسن عياش، **المسجد الأقصى وقبة الصخرة**، (ص ٧٠)، وهو يحيل إلى مصادر كثيرة لهذا النقل فيُنظر.

الخاتمـــــــة

انطلق البحث من مسلمات إسلامية تظهر أفضلية مساجد ثلاثة على الأرض على غيرها من المساجد؛ بأن جعلت الصلاة فيها هي الأجزل ثواباً، ولهذا نُدب شدّ الرحال إليها لهذا القصد، وهذه المساجد هي (المسجد الحرام، والأقصى، والنبوي الشريف).

وكانت الرغبة بجمع أسباب هذا التفضيل، مما عُلم منه أو جلّاه البحث، فكان مما استحضره البحث في هذا الجزء:

إن هذه المساجد أول من بناها أنبياء، وإن مواقعها أراضٍ باركها الله دون غيرها، وكان المسجد الحرام أول مسجد عُبد فيه الله على الأرض، وهو موضع حج الناس كلهم، وقبلتهم الأولى، بناه آدم عليه السلام أبو الأنبياء، وبنى الأقصى من بعده.

والمسجد الأقصى هو قبلة الناس الثانية، ومزار الأنبياء جميعاً، ومسرى خاتمهم محمد ﷺ، الذي بنى آخر مساجد الأنبياء على الأرض، مسجده النبوي الشريف.

وارتباط الأنبياء بهذه المساجد استمر ما بين آدم ومحمد عليهما السلام، فبعد أن كانت القبلة للمسجد الحرام مع آدم عليه السلام ثم للأقصى بعده، أعادها إبراهيم عليه السلام للمسجد الحرام، بعد أن تابع من كان قبله، ثم أعادها موسى عليه السلام للأقصى بعد أن تابع من كان قبله، ثم أعادها محمد ﷺ للمسجد الحرام، بعد أن تابع من كان قبله، فكان الأقصى أولى قبلتيه، وكل ذلك بأمر الله عز وجل.

كل ما سبق يدل على وحدة الدين، ووحدة الرسالات السماوية، وأنه لا مقدس على الأرض إلا ما ظهر بهذه الأدلة، والله أعلم؛ فاجتماع القبلة والحج، ومباركة الأرض، والبدء والختم لهذه المساجد يدل على انفرادها بذلك، وأنها تجمع الناس كلهم في وجوب تقديسها وتعظيمها وإقامة أكبر شعائر الله فيها كما جاء الأمر لمحمد ﷺ .

ولأن الاستدلال على هذا البحث جاء من الكتب المقدسة جميعاً الإسلامية، واليهودية، فيما صح منها، فهذه دعوة لليهود وغيرهم من الملل أن ينفضوا عنهم ما لوثهم

من التحريف والتبديل لكتبهم، ويتبعوا الصحيح الذي أيده القرآن الكريم، بل ودعاهم أن يستلهموه منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٦ – ٧٧]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وعسى الله أن يصلح بهذا العمل كل مسترشد آمين، ويكتب له القبول عند المخلصين.

فهرس المصادر والمراجع

الكتب المقدسة عند أتباع الديانات:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، ط١، الإصدار الثالث ٢٠٠١م.

المصادر والمراجع:

- ابن العربي، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، طبعة فريدة بفهرس أبجدي بأسماء كتب صحيح البخاري، رّقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- ابن هشام، رواية.. عن وهب ابن منبه، **كتاب التيجان في ملوك حمير** ، ط١، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧هـ.
- أبو الفتح السامري، **التاريخ مما تقدم عن الآباء**، (نسخة مخطوط).
- البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٥هـ.
- جمعية قطر الخيرية، **جامع الحديث الشريف، للكتب التسعة**، تطبيق على جهاز الموبايل.
- الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، مع تعليقات الذهبي، ط ١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩٠م.
- حسن الباش، **القدس بين رؤيتين، هل تحسم النبوءات الصراع**، دار قتيبة، دمشق، ١٩٩٧م.
- حسن الباش، **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٢م.

- حسن حسين عبد الله عياش، **المسجد الأقصى وقبة الصخرة، قيمتهما الدينية ومكانتهما في نفوس المسلمين، دراسة تاريخية،** مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٨، ٢٠١٠م.
- الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب،** ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
- ريتشارد أليوت فريدمان، **من كَتَبَ التوراة،** ترجمة عمرو زكريا، دار البيان، القاهرة.
- الزمخشري، **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان.
- سامي عبد الله المغلوث، **أطلس تاريخ الأنبياء والرسل،** ط٦، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- السيوطي، **الدر المنثور الدر المنثور في التفسير بالمأثور،** ط١، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.
- الطبراني، **المعجم الأوسط،** تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** تحقيق محمود شاكر، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الطبري،**جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الطحاوي، **شرح مشكل الآثار** ، ط ١، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- عبد الحكيم ذا النون، **تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية،** دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.
- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية،** دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠م.

- علا زياد يوسف الأسمر، **القدس في أسفار التوراة**، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٩هـ /٢٠١٨م.
- العيني، **عمدة القاري، شرح صحيح البخاري**، ضبطه وصححه محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
- محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تطبيق على جهاز الموبايل.
- محمد خليفة حسن، **علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية**، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢٣ ، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م.
- محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة**، ط٨، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- محمود الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- موقع الأنبا تكلا هيمانوت، **قاموس الكتاب المقدس**، دائرة المعارف الكتابية المسيحية.